

مَوْقِفُ الشَّرْعِ مِنَ الاسْتِنْسَاخِ The position of sharee'ah of cloning

سمية حرير¹ (1)

Harir Soumaya

(1) جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، الجزائر. harirsoumaya@gmail.com

تاريخ النشر: 2022/04/08

تاريخ القبول: 2022/03/07

تاريخ الاستلام: 2021/12/19

الملخص:

إن التطور العلمي الهائل الذي توصل إليه العلماء في مجال علم البيولوجيا، وعلم الأجنة والهندسة الوراثية أذهل العقول وفاق كل التوقعات، فوصل إلى حد استنساخ النبات والحيوان، وليس هذا فحسب بل واصل طريقه للوصول إلى استنساخ الإنسان؛ مما يقتضي التصدي لمثل هذه التطورات من باب رعاية شؤون المجتمع؛ لأن لها مساسا بحياة المسلمين فكان موضوع هذه الدراسة يهدف إلى بيان موقف الشرع من الاستنساخ بأنواعه سواء كان نباتيا، أو حيوانيا، أو بشريا، فكانت الخطة التي رسمتها لهذه الدراسة في ثلاثة مباحث؛ المبحث الأول خصصته لبيان حقيقة الاستنساخ، وتحدثت في المبحث الثاني عن محاسن الاستنساخ ومساوئه، أما المبحث الثالث فكان لبيان الحكم الشرعي للاستنساخ بأنواعه.

الكلمات المفتاحية: الاستنساخ؛ الهندسة الوراثية؛ الكروموزوم؛ البويضة؛ التلقيح الاصطناعي.

Abstract:

The enormous scientific advances that scientists have made in the field of biology, embryology and genetic engineering have stunned minds and surpassed all expectations, reaching the point of reproduction of plants and animals, which continue to reach human cloning; The study was designed to explain the position of Shara from cloning of all types, whether plant or animal or human, was the plan that I drew for this study in three subjects; each subject is divided into two requirements, the first section devoted to the statement of the reality of cloning, and spoke in the The second topic is about the advantages and disadvantages of reproduction, and the third topic was to demonstrate the Islamic ruling on cloning of all kinds.

Keywords: Reproduction; Genetic engineering; Chromosome; Ovulation; Artificial insemination.

¹ الباحث المرسل.

1. مقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102]

أما بعد: لقد خلق الله الإنسان في أحسن تقويم، وكرمه غاية التكريم فقال عز من قائل: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: 70] زينه بالعقل، وشرفه بالتكليف، علّمه ما لم يكن يعلم، وأمره بالبحث والنظر والتفكير والتدبر مخاطباً إياه بقوله: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾. [العلق: 1]

والإسلام لا يضع حجراً ولا قيداً على حرية البحث العلمي، ولكن الإسلام يقضي كذلك بأن لا يترك الباب مفتوحاً بدون ضوابط أمام دخول تطبيقات نتائج البحث العلمي إلى الساحة العامة بغير أن تمر على مصفاة الشريعة، لتمرر المباح وتحجز الحرام، فلا يسمح بتنفيذ شيء لمجرد أنه قابل للتنفيذ، بل لا بد أن يكون علماً نافعاً جالباً لمصالح العباد ودارئاً لمفاسدهم، ولا بد أن يحافظ هذا العلم على كرامة الإنسان ومكانته والغاية التي خلقه الله من أجلها، ولا يعتدي على ذاتية الفرد وخصوصيته وتميزه، ولا يؤدي إلى خلخلة الهيكل الاجتماعي المستقر أو يعصف بأسس القربات والأنساب وصلات الأرحام والهيكل الأسرية المتعارف عليها على مدى التاريخ الإنساني في ظلال شرع الله وعلى أساس وطيده من أحكامه.

وقد كان مما استجد للناس من علم في هذا العصر، ما ضجت به وسائل الإعلام في العالم كله باسم الاستنساخ، وكان لابد من بيان حكم الشرع فيه، بعد عرض تفاصيله من قبل نخبة من خبراء المسلمين وعلمائهم في هذا المجال.

1.1 إشكالية البحث: ما هو الموقف الشرعي من الاستنساخ؟

وتندرج تحتها التساؤلات الآتية:

- ماذا نعني بالاستنساخ؟
- ما هي أنواع الاستنساخ؟

- ما هي محاسن الاستنساخ ومساوئه؟
- ما هو الحكم الشرعي للاستنساخ؟

2.1. أهمية البحث: تكمن أهمية البحث في:

- ** كونه من النوازل التي تحتاج إلى حكم شرعي.
- ** كونها من المسائل التي تمس حياة الإنسان وكرامته.
- ** بيان أن دين الإسلام دين العلم والبحث ليس فيه ما يدعو إلى محاربة العلم إذا كان ذا غاية وقائما على الحجة والإقناع.

3.1. المنهج المتبع:

- المنهج الاستقرائي: وذلك بتتبع المعلومات وجمعها من الكتب والمواقع الالكترونية.
- المنهج الوصفي: وذلك بوصف العملية التي يتم بها الاستنساخ في مجالاته الثلاثة.

4.1. شرح المصطلحات التي لها علاقة بالموضوع

- الكروموزوم Chromosome:

تركيب حيطي الشكل، غني بـحمض DNA يحتوي على الجينات النووية، ويشاهد بصورة واضحة على شكل قضيبين عند تقلصه خلال عملية الانقسام النووي، ولكل نوع من الكائنات الحية عدد مميز من الكروموزومات.¹

- السيتوبلازم (جيلة) Cytoplasm:

سائل يحيط بالنواة ويحتوي على العضيات الخلوية كالميتوكوندريات، يمثل كل الأجزاء الحية من الخلية فيما عدا النواة.²

¹ محمد علي الربيعي: الوراثة والإنسان، عالم المعرفة، الكويت، 1978م، ص181.

² محمد علي الربيعي، المصدر نفسه، ص178.

- الحامض النووي الديوكسي رايبوزي (Deoxyribonucleic Acid (DNA:

حامض نووي يحتوي على المعلومات الوراثية للخلية، يوجد على نحو متميز في الكروموزومات ويبقى في النواة كمستودع دائم للمعلومات ويتضاعف ويتوزع بدقة عند كل انقسام خلوي. مواد بنائه الأساسية هي سكر ديوكسي رايبوزي وحامض الفوسفوريك وقواعد نيتروجينية.¹

- بويضة Ovum:

خلية جنسية أنثوية ناضجة.²

- كروموزوم سيني X-Chromosome:

كروموزوم يرتبط بعملية تحديد الجنس تحتوي الأنثى في الإنسان ومعظم الحيوانات على كروموزومين من هذا النوع بينما يحتوي الذكر على فرد.³

- كروموزوم صادي⁴ كروموزوم نظير للكروموزوم السيني، يوجد في خلايا ذكر الإنسان، ومعظم الحيوانات، يحتوي على عدد قليل من الجينات وفي الإنسان يحتوي على جينات الذكورة.

- نواة nucleus:⁵

جزء الخلية الذي يحتوي على الجينات والكروموزومات. تحاط بغشاء نووي وتشكل الأحماض النووية مادتها الكيميائية الرئيسية. تكون النواة على الأكثر في الخلايا الفتية كروية الشكل ووسطية الموقع، وفي الخلايا المتميزة لا يكون للنواة شكل ثابت أو موقع محدد وظيفتها السيطرة على الفعاليات الخلوية المختلفة ونقل الخصائص الوراثية.

¹ محمد علي الربيعي، المصدر نفسه، ص176

² محمد علي الربيعي، المصدر نفسه، ص174.

³ محمد علي الربيعي، المصدر نفسه، ص181.

⁴ محمد علي الربيعي، المصدر نفسه، ص181.

⁵ محمد علي الربيعي، المصدر نفسه، ص183.

2. حقيقة الاستنساخ

1.2. مفهوم الاستنساخ والألفاظ ذات الصلة به

1.1.2. مفهوم الاستنساخ (التنسيل)

– لغة: بالرجوع إلى معاجم اللغة العربية، نجد أن الاستنساخ من المصدر نسخ، وللنسخ معنيان:

الأول: النقل؛ نسخ الشيء ينسخه نسخاً و انتسخه و استنسخه، والنسخ: اكتتابك كتاباً عن كتاب حرفاً بحرف والأصل نسخة ... والاستنساخ: كُتِبَ كتاب من كتاب، وفي التنزيل: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٢٩) [الجن: 29]، والنسخ نقل الشيء من مكان إلى مكان وهو هو.

الثاني: إبطال الشيء وإقامة آخر مقامه، وفي التنزيل: ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها﴾¹ وهو بهذا المعنى الإزالة.

فالذي يفهم من مجموع ما تقدم أن الاستنساخ يطلق على عملية النسخ، أي عملية النقل.

– اصطلاحاً: عرفه الدكتور رجب أبو مليح محمد بأنه: توليد كائن حي أو أكثر، إما بنقل النواة من خلية جسدية إلى ببيضة متروعة النواة، وإما بتشطير ببيضة مخضبة في مرحلة تسبق تمايز الأنسجة والأعضاء²، ونرى أن استخدام مصطلح الاستنساخ بالنسبة للإنسان غير مقبول؛ لما فيه من تشبيه الإنسان بالآلة والجماد والإنسان مكرم منذ أن خلق، لقوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [الإسراء: 70]، ومن هنا نقترح استبدال مصطلح الاستنساخ بمصطلح التنسيل المأخوذ من النسل والنسل هو الولد لكونه نسلاً عن أبيه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ [البقرة: 205]

... وإذا أردنا أن نعرف بالتنسيل من الناحية الاصطلاحية العلمية فيمكن القول بأنها العملية التي يتم من خلالها الحصول على نسل متطابق مع بعضه أو مع مصدره في الصفات الوراثية.³

¹ ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، تحقيق: عبد الله علي الكبير—محمد الشاذلي، 4407/6.

² موقع الفقه الإسلامي www.islamfeqh.com، بتاريخ 2012/05/07.

³ سليمان الأشقر وآخرون: دراسات فقهية في قضايا طبية معاصرة، دار النفائس، الأردن، ط: 1، 1421هـ/2001م، ج 2، ص 252-253.

2.1.2. الألفاظ ذات الصلة بالاستنساخ.

1.2.1.2. التلقيح الطبيعي:

يعرف التلقيح الاصطناعي بأنه: إيصال الحيوان المنوي للرجل بطريقة معينة إلى بويضة أنثى بغير الاتصال الجنسي المباشر، أي بطريقة صناعية، بغرض حدوث حمل.¹

يحدث باتحاد الحيوان المنوي المحتوي على 23 كروموزوم مع البويضة المحتوية على نفس العدد من الكروموزومات، وبهذا العدد ينتج الجنين المكون من 46 كروموزوم زائد xx أو xy التي تكون مادته الجينية تختلف عن كلا الأبوين.

أما الفرق بينه وبين الاستنساخ؛ أن الاستنساخ تكون نواة الخلية من الحيوان الأول محتوية على 46 كروموزوم هي المسؤولة بالكامل عن المادة الجينية للكائن الجديد ولهذا فهي تسمى استنساخا للخلية الأب، إذ أن دور البويضة هنا لا تؤثر على التكوين الجيني لأنها متروعة النواة ولا تحتوي على كروموزومات وراثية.²

2.2.1.2. الهندسة الوراثية Genetic engineering:

هي عبارة عن مجموعة وسائل تهدف إلى إجراء تعديل أو تعديل أو إضافة انتقائية للمادة الوراثية عن طريق الدخول للحمض النووي ال DNA في الخلايا الحية.³

في عام 1962 م اكتشف الحمض النووي DNA ، ثم تم الكشف عن إنزيمات التحديد أو التقييد اللازمة لقص ذلك الحمض في مواقع محددة وبدأ تدريجياً مصطلح الهندسة الوراثية يتداول بين الناس لتشكيل تلك الهندسة ثورة علمية تعتمد على الخلية والجينات و علم الوراثة وتقوم على فكرة التحكم في الجهاز الوراثي للإنسان وبذلك بدأ العلماء في تعديل أو العبث في أهم خصوصيات الإنسان و هي الشفرة الوراثية.⁴

فعملية الوراثة في التلاقح الطبيعي للصفات تكون من ناحية الأب والأم، لذلك فإن الأولاد لا يكونون على نسق واحد والتشابه بين الأولاد والآباء والأمهات، وبين الإخوة، يأخذ أشكالاً مختلفة من حيث الشكل، طولاً وعرضاً ولوناً، ومن حيث القدرات العقلية، والنفسية والخلقية.

أما الوراثة في عملية الاستنساخ؛ فإنها تنقل الصفات نفسها للشخص الذي أخذت الخلية منه، ذكر كان أو أنثى، ويكون الولد نسخة قريبة من الأصل عنه أي يرث جميع الصفات الخلقية أما الصفات المكتسبة فليست موضوعاً

¹ طارق عبد المنعم محمد خلف، أحكام التدخل الطبي في النطف البشرية في الفقه الإسلامي، تقديم: محمد سليمان الأشقر، دار النفائس، الأردن، ط:1، 1431هـ/2009م، ص53.

² موقع www.layyous.com الاستنساخ البشري حقيقة أم خيال، بتاريخ 2012/05/18.

³ سليمان الأشقر، قضايا طبية معاصرة، المرجع السابق، 698/2.

⁴ موقع الفقه اليوم www.islamtoday.net بتاريخ 2012/05/17.

للوراثة، فإن أخذت الخلية من عالم قدير أو مجتهد كبير أو طبيب فذ، فلا يعني أن الولد سيرث كل هذه الصفات، لأنها صفات مكتسبة وليست صفات خلقية.¹ فالهندسة الوراثية أعم من الاستنساخ، فالاستنساخ جزءا منها.

2.2 تاريخ الاستنساخ.

إن أول من تنبأ بعلم الاستنساخ هو العالم النمساوي هيرلانت، عام 1902م حيث قال : التكاثر النسخي سيطبق يوماً ما، ورغم أن نبوءته هذه جاءت في أوائل القرن الحالي ولم يكن علم الوراثة قد استقر بعد إلا أن هذه النبوءة بدأت بوادر تحققها تظهر في أواخر القرن العشرين، وظل الحديث هكذا بين المد والجزر حتى أوائل الستينيات حيث قام البروفسور (إف، سي ستورد) وزملاؤه في معهد (كورتل) بأخذ بعض خلايا الجزر ووضعها في وسط غذائي دقيق الإعداد يحتوي على حليب جوز الهند فحدث أمر مرعب، حيث بدأت بعض هذه الخلايا بالانقسام كما لو كانت ملقحة، وهي في الواقع لم تكن ملقحة أبداً، حتى إن بعض الخلايا الناشطة انبثقت منها البراعم وأرسلت الجذور، وفي أوساط غذائية أخرى تفرعت منها أغصان خضراء ونما بعضها إلى أن تحول إلى جزر ناضج طبيعي في كل شيء، ومن هنا أطلق عليها Clones وأصلها يونانية Klan التي تعني الحشد أو الشتل.² ومع بداية تطور علم البيولوجيا وحصول ما أسماه البعض بالثورة البيولوجية العظمى التي حظيت باهتمام علمي وإعلامي كبير، وبعناية فائقة من قبل مجموعة من الشركات والمؤسسات في مجالات مرتبطة بهذه التطورات الحديثة. فقد كان الاستنساخ أحد المجالات المهمة فيما يعرف بالهندسة الوراثية التي تتحكم في الإمكانيات الوراثية للكائن الحي. فهو إذن قد نشأ مع نشوء هذه الهندسة وتطور بتطورها، فهو لم يبدأ بالضبط مع إعلان ولادة النعجة دوللي. بل ظهرت معلوماته مع ظهور ثورة البيولوجيا - كما ذكرنا- ففي سنة 1952م تمكن العالمان البريطانيان روبرت برجز، وتوماس كينغ من استنساخ ضفادع.³ وفي عام 1978م بدأ الخيال العلمي على شاشات السينما في عرض فكرة الاستنساخ؛ تقوم على إنتاج نسخ بشرية.

وتوالى بعدها التجارب على حيوانات عديدة، إلا أن أول تجربة ناجحة لاستنساخ حيوان قام بها العالم إيان ويلموت وزملاؤه بمعهد روزلين باسكتلندا وذلك في 5 يوليو 1996 م وقيل فبراير 1997م؛ وهي تجربة النعجة الشهيرة دوللي والتي أحدثت ثورة في عالم الاستنساخ وتم ذلك بأخذ خلية من ثدي نعجة وجمعها ببويضة متروعة

¹ عبد القدير زلوم: حكم الشرع في الاستنساخ، ط:1، (1418هـ/1997م)، ص6.

² أحمد رجائي الجندي، قرص مجلة المجمع الفقهي، بحث الاستنساخ بين الإقدام والإحجام.

³ نور الدين الخادمي، الاستنساخ في ضوء الأصول والقواعد والمقاصد الشرعية، دار الزاحم، الرياض، ط:1، 1422هـ/2001م، ص25-26 بتصرف.

النواة من نعجة أخرى؛ وكان الناتج هي دوللي التي هي نسخة طبق الأصل عن النعجة الأولى، وتوفيت النعجة دولي 2003/2/14.

وتوالى التجارب والأبحاث في هذا المجال لاستنساخ عدة أنواع من الحيوانات، حيث نجحت في استنساخ حيوانات مثل القطط و الفئران، وبعض أنواع الخنازير وكذلك الخرفان و الأرانب، لكن لم يثبت نجاح الاستنساخ مع حيوانات أخرى مثل: الكلاب والقرود والخيول والدجاج، وهذه التجارب لم تنتقل بعد إلى الإنسان وذلك بسبب القيود التي فرضتها الحكومات على هذه الأبحاث، ولم يثبت لحد الآن ما يدل على نجاح هذه الأبحاث على الجنس البشري، حتى ما تم نشره بخصوص نجاح إحدى المؤسسات في إنتاج جنين بشري، حيث يعتبر من الناحية العلمية مشكوكا في صحته.¹

3.2. خطوات الاستنساخ:

كيف تتم عملية الاستنساخ؟

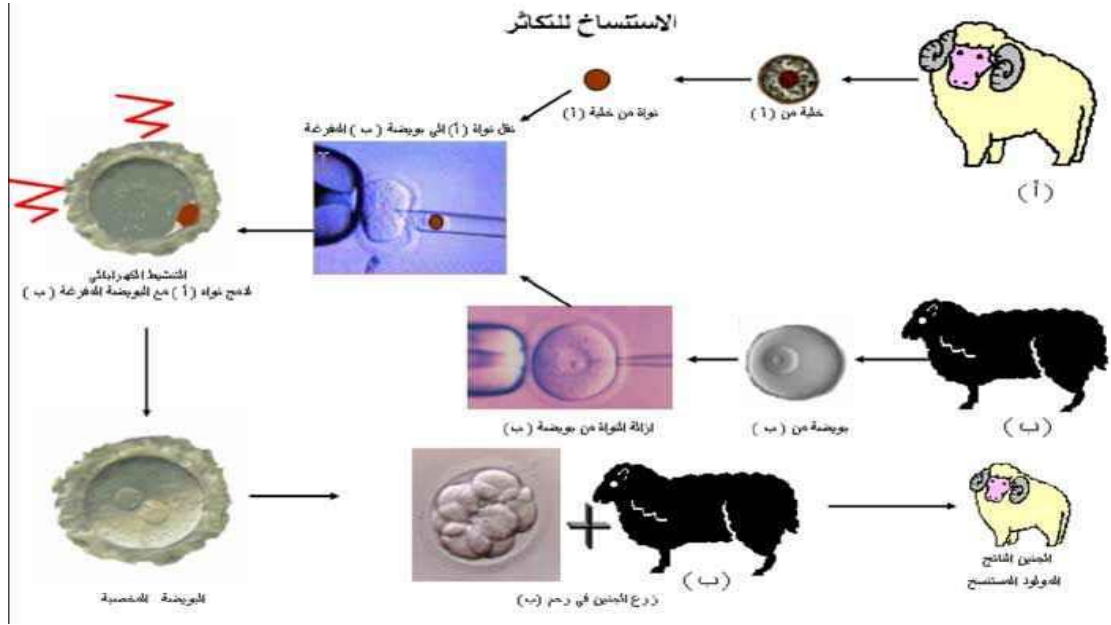
الاستنساخ هو عملية تكوين كائن حي باستخدام خلايا غير جنينية من خلايا الجسم، ونقصد هنا بالخلايا الجنينية الحيوان المنوي والبويضة، وهذا الكائن المتكون يكون مطابقا من حيث الجينات للحيوان المأخوذة منه الخلية الجسمية، وتتم هذه العملية بالخطوات التالية:

- تؤخذ خلية جسمية من الكائن الحي الأول من أي محل من الجسم، ويتم تفريغ هذه الخلية وفصل النواة المحتوية على المادة الجينية الكاملة أي 46 كروموزوم.
- يتم إدخال النواة من الكائن رقم 01 داخل البويضة المفرغة من النواة للكائن رقم 02، وبعد تعريضها لشحنات كهربائية يحدث انقسام في نواة الخلية، ليتكون جنين جديد يكون نسخة طبق الأصل عن الكائن رقم 01 من ناحية التكوين الجيني، لكن من الخطأ الاعتقاد أن هذا التشابه 100% إذ أن هناك مادة جنينية موجودة في الميتوكوندري الموجودة في بويضة الحيوان رقم 02 والتي قد تغير من تركيبة الكائن الجديد وتحدث اختلافا بسيطا فيه.²

¹ انظر المواقع: إجابات قوقل www.google.com بتاريخ 2012/05/18، و www.layyous.com وموقع ويكيبيديا

www.wikipedia.org ، موقع نبض القلوب www.nabad-elkolob.com بتاريخ 2012/05/17.

² موقع www.layyous.com الاستنساخ البشري حقيقة أم خيال، بتاريخ 2012/05/18 (بتصرف).



3. محاسن الاستنساخ ومساوئه:

1.3. محاسن الاستنساخ

إن هناك العديد من الفوائد المرجوة من تطبيق تقنية الاستنساخ، سواء كان ذلك في مجال حل مشكلة حالات العقم أم تحسين بعض السلالات النباتية والحيوانية أو إنتاج الغذاء ومن ذلك:

- الاستفادة في مجال الجريمة:

مع أن بعضهم ينظر إلى الاستنساخ نظرة تشاؤم، حيث الجرائم لوجود التشابه بين الناس إلا أن آخرين نظروا إليه نظرة حسنة حيث يتم عن طريق DNA التعرف إلى المجرمين. فقد ذكرت إدارة السجون في أوكلاهوما أن أمريسيا حكم عليه بالإعدام بعد أن أدين بجريمة قتل لم يرتكبها، أفرج عنه بعد أن أثبتت اختبارات على الحمض النووي DNA براءته. وفي وكالة القدس برس - جاء الخبر التالي: " العلماء يستعينون بالجينات لتحديد ملامح المجرمين "

- في مجال الزراعة والغذاء:

إن تقدم علم الاستنساخ سينجز الكثير لتوسيع موارد الغذاء وتنويعها ومن أجل تلبية احتياجات النمو السكاني المتصاعد، كإنتاج بروتين عال في هذه الأغذية وزيادة إنتاج المحاصيل، وإنتاج غلة بصفات جيدة وخضروات تحمل صفات ممتازة، وإطالة مدة صلاحية بعض الفواكه والخضروات، وتهجين الثمار، وحماية النباتات من الآفات وحماية المحاصيل من الحشرات الضارة ومن الصقيع، وفي مجال التلوث أمكن اكتشاف مواد تقضي على التلوث البترولي في البحار، وإنتاج لحوم أبقار قليلة الدهون.

ومن ذلك نجاح خبراء في جامعة توتينغهام بالتدخل بالمورثات المتعلقة بالألوان في الفاكهة والخضار، وأعلن أن أنواعا جديدة منها غنية بالفيتامينات ستطرح قريبا في الأسواق.

يجري العمل في المعهد الدولي للزراعات الاستوائية في نيجيريا على قدم وساق لإطعام القارة السوداء أشد قارات العالم فقرا ومعاناة من مشكلة الجوع، ومن بين نجاحات المعهد البارزة إنتاج سلالات محسنة من نبات اللوبيا المقاومة للحشرات، حيث تم استخراج جينات قادرة على مقاومة الحشرات والآفات من اللوبيا البرية وإدخالها على خلايا أنواع من اللوبيا المزروعة.¹

- في مجال الإنتاج الحيواني، إنتاج خراف تنتج مزيدا من الصوف.

فقد أعلن فريق من نيوزيلندا تطور نوع جديد من الخراف المعدلة وراثيا لإنتاج صوف يزيد بحوالي 10% عما يحمله فرو الخروف العادي.

- وفي مجال القطن فالدراسة جارية لإنتاج نوعيات ملونة طبيعيا.

استخدام طريقة الاستنساخ لإنقاذ الحيوانات المعرضة للانقراض.

يقول الدكتور وجدي عبد الفتاح سواحل (من المركز القومي المصري للبحوث): "لو أن استنساخ الأصناف الحيوانية النادرة والمهددة بالانقراض أصبح حقيقة فسوف تلجأ حدائق الحيوانات إلى إبقاء نوع من كل حيوان والباقي محمد جاهز للاستنساخ حسب الطلب، ويعتبر ذلك ميزة اقتصادية"

- وفي مجال البيئة:

فقد تم تخليق بكتيريا تلتهم بقع النفط التي تلوث البحار، كما تم تخليق أنواع من البكتيريا تحلل النفايات إلى بروتينات صالحة لغذاء الحيوانات.²

2.3. مساوئ الاستنساخ

وتتمثل في النقاط التالية:

- اختلاط الأنساب.

يقول الدكتور محمد سلامة - أستاذ البيولوجيا الجزيئية، المساعد بعين شمس - : "وقد تصل الفوضى إلى أن يربي الابن أباه وأن تربي الابنة الصورة المستنسخة أمها."

- هدم كيان الأسرة.

حيث يجمع علماء الاجتماع والأخلاق على أن تطبيق هذه التقنية على البشر سيؤدي إلى إلغاء سنة بيولوجية خلقها الله تعالى في البشر، وهي الإنجاب من ذكر وأنثى وهذه سنة إلهية قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: 3].

- الاستنساخ يلغي التنوع البيولوجي.

¹ رياض أحمد عودة الله: الاستنساخ في ميزان الإسلام، دار أسامة، الأردن - عمان، ط: 1، 2003م، ص 127-128.

² رياض أحمد عودة الله، مرجع نفسه، 128-129.

فالاستنساخ يؤدي إلى إنتاج نسخ متشابهة أو متماثلة، وهذا يؤدي إلى اختفاء سنة ضرورية وهي التنوع الأحيائي ، فلا بد من وجود التنوع في الأشكال و الألوان والأطوال والأجناس، قال تعالى: ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة﴾ [سورة هود:118]

- الاستنساخ بجرد الإنسان من خاصية الإنسانية التي تتمثل في العواطف الطبية والدوافع النبيلة لتحمل مسؤولياته في الحياة، وينتكس به إلى الحيوانية.

- الشيخوخة المبكرة للمستنسخ.

فلو تم أخذ خلية من رجل له من العمر 70 سنة وتم استنساخها فإن عمر خلايا المولود الجديد سيكون 70 سنة أي عمر مانح الخلية الفيزيولوجي هذا ما أكدته (إيان ويلموت) مستنسخ النعجة دوللي حينما أعلن أن عمر دوللي بعد ثلاث سنوات من ولادتها هو تسع سنوات، عمر النعجة صاحبة الخلية.

- مشكلات للإنسان المستنسخ نفسه:

حيث سيواجه مشكلات في حقوقه المدنية كالنفقات والميراث والحضانة والولاية وغير ذلك.

- فيه امتهان صريح لكرامة الإنسان:

يقول الدكتور عجيل النشمي: "إن إخضاع الإنسان لهذه التجارب واللعب في جيناته والمتضمنة فطرته وموروثاته دون ما غرض مشروع أو مبرر مقبول هو امتهان ما بعده امتهان".

- تفويت مقصد الأمومة والأبوة:

وذلك بانفصال مفهوم الأم عن مفهوم الولادة، أما بالنسبة لمقصد الأبوة يكون الاستنساخ معدما ومميتا له كليا فلا تكاد ترى أثرا للأب في كيان الوليد المستنسخ، ولا دخل للذكر والحيوان المنوي ولا أي شيء له علاقة بالأب في إنجاب الوليد وطبعه ببصمات الأب ومورثاته وخصائصه.

- تشويه صورة الإنسان المستنسل.

وذلك نتيجة تأثر الجينات بالمواد الإشعاعية والكيميائية وغيرها، وكذا ما سيؤول إليه عملية الاستنسال، إذ هي تقوم على خلية تتعرض للانقسام...¹

وأخيرا فإن: الاستنساخ كما يقول العلماء يحطم المادة الوراثية وتخطيمها أحد أسباب الإجهاض المتكرر سر الحياة في اختلاف الجنس والنوع.

¹ راجع: رياض أحمد عودة الله، مرجع نفسه، ص130. ونور الدين الخادمي، المرجع السابق، ص26. (بتصرف).

4. الحكم الشرعي للاستنساخ.

1.4. الاستنساخ النبائي والحيواني:

لقد تجلت حكمة الله سبحانه بأن سخر ما في الكون من النبات والحيوان والجماد في خدمة الإنسان، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ..﴾ [لقمان:20]. وقوله سبحانه: ﴿وَالْبَدَنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَا إِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْقَانِعَ وَالْمَعْتَرِ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دُمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتَكْبِرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾ [الحج 36-37].

فهذه الآيات وغيرها كثير— تتعلق بتسخير الحيوان لخدمة الإنسان.

وهناك أدلة كثيرة تدل على تسخير النبات للإنسان، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ [النمل: 60].

وقوله تعالى: ﴿يَنْبِتْ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ..﴾ [النحل: 11].¹

1.1.4. كيفية استنساخ النبات:

النباتات أكثر الكائنات خضوعاً للاستنساخ، وقد يتم الاستنساخ فيه طبيعياً وقد يتم بتدخل الإنسان.

1.1.1.4. الاستنساخ الطبيعي للنبات: يتم استنساخ النباتات طبيعياً بأن تقوم الأشجار بإرسال جذور من أغصانها إلى سطح التربة، فإذا ما قطع الفرع أمكن استقلاله عن الشجرة الأم في التغذية وفي القيام بذاته ويحدث هذا في النباتات التي تخزن الغذاء في بعض أغصانها الأرضية، حيث تدفن في الأرض حتى تتمكن من النمو في فصل النمو التالي مكونة مجموعاً خضرياً جديداً بعد أن يموت المجموع الخضري القديم في فصل النمو السابق، كما هو الحال في البطاطس، ويمكن الحصول على هذا النبات بأعداد كبيرة من مجرد درنة واحدة بتقطيعها قطعاً تحمل كل منها برعمًا، وذلك بعد غرسها في التربة، وتكوين كل قطعة نبات بطاطس جديد بدرنات جديدة، وكما هو الحال في الفسائل التي هي أجزاء من النبات تنمو من القاعدة الأرضية لساق النبات الأصلي، حيث تكبر شيئاً فشيئاً حتى تصبح في شكل النبات الذي جاءت منه كالنخيل و الموز، وقد قام الإنسان بفصل فسائل النخيل و الموز عن أمهاتها، و غرسها في مكان آخر وبذلك حصل على أشجار كثيرة من النخيل و الموز.

2.1.1.4. استنساخ النبات بتدخل الإنسان:

ويتم استنساخ النبات بتدخل الإنسان بعدة طرق منها: التعقيل، والترقيد، والاستنساخ الجيني.

¹ سليمان الأشقر، مرجع سابق، 666-665/2.

فالتعليق: هو فصل جزء من النبات - جذر أو ساق - ووضعه في تربة ملائمة، لينمو مكونا نباتا جديدا يحمل نفس الصفات الموجودة في الأم وينبت نفس ثمرها ويسمى هذا الجزء المنقول "عقلة" ومن النباتات التي تستنسخ بهذه الطريقة البطاطا والعنب والصفصاف ...

والترقيد: يتم بثنى أحد أفرع النبات التي تحمل براعم نشطة في التربة بحيث يغرس جزء ويبقى آخر فوق سطح التربة إلى أن يتكون مجموع خضري ثم يفصل النبات الجديد عن الأصل، ومن النباتات التي تستنسخ بهذه الطريقة الياسمين.

3.1.1.4. الاستنساخ الجيني للنبات

يكون عن طريق تعديل الجينات للحصول على إنتاج وفير ومحسن لأنواع متقدمة من النباتات، باستخدام الطرق المعملية، بحيث ينتج عن ذلك الحصول على الجينات الجديدة ومن ثم يمكن أن نستنسخ منها ما نريد ويطلق على هذه العملية الهندسة الوراثية.

وقد أحدث هذا النوع من الاستنساخ حيث تم إنتاج أكثر من خمسين نوعا نباتيا ذي صفة مطلوبة وجيدة، مثل مقاومة الحشرات والفيروسات ومبيدات الأعشاب أو نباتات تنتج ثمارا تقاوم التلف، أو نباتات لها قيمتها الاقتصادية برفع قيمتها الغذائية.

ومن أهم النباتات التي دخلتها هذه العملية شجرة النخيل ... وقد استطاعت مراكز الأبحاث في بعض الدول الغربية كأمريكا وفرنسا إنتاج كميات كبيرة من أشغال النوع المحسن وبيعه للدول العربية بسعر مرتفع.¹

2.1.4. كيفية استنساخ الحيوان:

الحيوان هو النوع التالي للنبات في الخضوع لعملية الاستنساخ، ويتم ذلك بـ:

1.2.1.4. الاستنساخ الجيني:

يتم استنساخ الحيوان جنينيا بإتباع الخطوات التالية:

- الحصول على الحيوان المنوي من حيوان ذكر.
- الحصول على بيضة من أنثاه.
- تخصيب البيضة بطريقة الإخصاب الصناعي بحيوان منوي.
- ترك البيضة المخصبة تنقسم إلى خليتين.
- فصل الخليتين عن بعضهما فصلا مجهريا وعمرهما أسبوع.
- حقن كل خلية جنينية كاملة في بيضة متروعة النواة من أنثى أخرى.

¹ شعبان الكومى أحمد فايد، أحكام الاستنساخ في الفقه الإسلامي، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، دط، 2006م، ص 38-

- شتل البيضتين بعد إدخال الخليتين الجنينيتين فيهما في رحم الأنثى نفسها، أو في رحم أنثى أخرى.

بعد إتمام فترة الحمل يولد حيوانان متماثلان.

2.2.1.4. الاستنساخ الجسدي للحيوان:

عرفنا أن أول حيوان استنسخ استنساخاً جسدياً هو النعجة دوللي، ومن ثمَّ فإنَّ التقنية التي استنسخت بها هي الجديرة بالذكر هنا، ومرت بالخطوات التالية:

- الحصول على خلية جسدية من ضرع نعجة فنلندية عمرها 06 سنوات.
- تجويع هذه الخلية بتوفير 05 % من الحاجات الغذائية لها وذلك من أجل إجبارها على التوقف عن الانقسام إذ لو انقسمت لانتجت نسخاً من أصلها.
- الحصول على بيضة حية من مبيض نعجة اسكتلندية.
- الانتزاع الجراحي الدقيق لنواة الخلية الجسدية.
- الانتزاع الجراحي الدقيق لنواة البيضة والاستغناء عنها.
- وضع نواة الخلية الجسدية ملاصقة للبيضة المفرغة من نواتها في طبق ثم التأثير عليها بواسطة الحث الكهربائي من أجل اندماج النواة في البيضة.
- غرس النسيج الجنيني بعد 06 أيام داخل رحم نعجة اسكتلندية من سلالة أخرى.
- بعد مرور المدة التي اكتمل فيها تشكيل الجنين، ولدت النعجة الاسكتلندية الحاضنة مولودها، وهو ما أطلقوا عليه "دوللي"، وقد ولدت ولم تشبه النعجة صاحبة البيضة ولا صاحبة الرحم و لكن تشبه النعجة صاحبة الخلية الجسدية المأخوذة من ضرعها.

3.2.1.4. الاستنساخ الجيني للحيوان:

ويكون ذلك بحقن عدة نسخ من سلسلة DNA المتبرع في داخل النواة الذكرية للبويضة المخصبة وتستخدم النواة الذكرية لأنها أكبر من النواة الأنثوية.¹

2.4. الحكم الشرعي للاستنساخ النباتي والحيواني:

أكثر الباحثين والفقهاء المعاصرين يؤيدون مشروعية الاستنساخ فيهما من حيث المبدأ، واستدلوا لإباحة ذلك بـ :
أن الأصل في الأشياء الإباحة والله تعالى امتن على بني آدم بذلك حين قال: ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً﴾.

¹ شعبان الكومى أحمد فايد، المرجع السابق، ص 41-44. (بتصرف)

أن هذا من أمور الدنيا التي أذن الله فيها للإنسان لإدراك مصالحه فغن عائشة وأنس بن مالك - رضي الله عنهما - أن النبي صلى الله عليه وسلم مرَّ بقوم يُلقحون، فقال: «لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا لَصُلِحَ» قَالَ: فَخَرَجَ شَيْصًا¹، فَمَرَّ بِهِمْ فَقَالَ: «مَا لِنَحْلِكُمْ؟» قَالُوا: قُلْتَ كَذًا وَكَذًا، قَالَ: «أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ»²

أن جوازها مقتضى دليل المصلحة حيث توجد المصلحة الجزئية التي لم يكفلها بذاتها نص ولم يجمع على حكم خاص بها ولم يسبق لها نظير يمكن أن تقاس عليه.

وقال الدكتور وهبة الزحيلي: "والرأي الشرعي هو القول بإباحة الاستنساخ في عالم النبات والحيوان سواء كان بإيجاد خلايا تحمل صفات مرغوبة بطريقة التكاثر وتنمية الخلايا في المخابر أو بتعديل المورثات (الجينات) المتميزة ببعض الصفات وإلغاء صفات غير مرغوبة أو التخلص من خلل أو عيب في الجين، لأن في ذلك تحقيقاً لمصلحة الإنسان وإيجاد وفرة أكثر، وتنمية أخصب، ونوعية أحسن، أو لأن ذلك علاج لمرض وتفاقم لمضرة بالإنسان الذي يتغذى بالإنتاج، وذلك بشرط البعد عن العبث والامتناع عن كل ما لا فائدة منه للإنسان، لأن التعديل الذي لا يحقق مصلحة ولا يدرأ مفسدة عبث محض وإضاعة للجهد والمال وتغيير لخلق الله، وبشرط الأمان من تغيير الشيء المطور وتحوله إلى سموم قاتلة أو ضارة أو مؤذية لمرض خطير".

وأشار ولهذا نؤكد أنه من القول بجوار ذلك في الاستنساخ النباتي عامة فإنه يجب منع أي تطبيق سيء يثبت ضرره بيئياً، لأن رعاية المصالح في الشريعة الإسلامية مشروطة بانعدام المفسدة أو قتلها، لأن المصلحة والمفسدة إذا تقابلتا فلا بد أن يغلب أحدهما الآخر وحينئذ يصير الحكم للغالب، كما أنه لا يجوز استعمال الجينات المحرمة في الاستنساخ النباتي ولا يجوز ذلك أيضاً في المحاصيل الزراعية المحرمة كما حصل في إدخال جينة الهمستر الصيني وهو نوع من القوارض في التركيبة الوراثية لنبته التبغ وذلك لزيادة إنتاج الستيرول.³

ويقول الأستاذ الدكتور محمد الزحيلي، أستاذ الفقه الإسلامي بجامعة الشارقة:

¹ فخرج شيصاً: هو البسر الرديء الذي إذا ييس صار حشفاً. ينظر: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (صحيح مسلم)، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1836/4.

² أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً دون ما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم من معاش الدنيا، رقم الحديث: 2363، 1836/4.

³ www.alriadh.com الاستنساخ أنواعه وأحكامه، عبد الله المطلق الاستنساخ أنواعه وأحكامه، عبد الله المطلق، بتاريخ 2012/05/17.

الاستنساخ الحيواني جائز في المجال العلمي حصراً وكذلك النباتي للتجارب العلمية فقط وما عدا ذلك فهو ترف فكري وعبث بالفطرة وهدر الأموال وتدميراً للبيئة وإفساد للإنتاج.¹

كما ينظر فيها ثانياً من ناحية اتخاذ الحيوان وسيلة وحققاً للتجارب، وهذا أمر مشروع، لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٢٩) [البقرة: 29]

فجميع الكائنات فوق هذه الأرض وفي باطنها وفي جوها والتي هي من خلق الله ومملوكة له، قد مكن منها الإنسان ليستفيد منها ويطورها تبعاً لما آتاه الله من ذكاء وقدرة على تطويعها في نطاق مصلحته الحقيقية، لا في نطاق هواه ونزواته، ودون تعسف أو فساد.

كما ينظر فيها ثالثاً على أساس أن ذلك مستوى علمي ستظهر الحاجة إليه واعتماده، فينقلب السعي إلى بلوغ ذلك المستوى واجباً كفاً على الأمة، على ما حققه أبو إسحاق الشاطبي من أن المباح أو المندوب بالجزء ينقلب واجباً بالكل، فإذا كان التوجه للاستفادة من استنساخ الحيوان في ميدان العلاج أمراً غير واجب على كل فرد من أعضاء الأمة الإسلامية، فإنه من ناحية تحتم أن يكون في الأمة الإسلامية من يغيثها في هذا الميدان عن الاحتياج لغيرها ينقلب واجباً كفاً تأثم الأمة كلها بتقصيرها فيه إذا هي لم تخصص الاعتمادات اللازمة والإطارات المقتردة على البحث والاكتشاف.

- الاستنساخ الحيواني لتحسين النوع:

كما فتح الاستنساخ الحيواني لمخابر الدواء طرقاً جديدة في استحضاره، فإنه فتح في ميدان الفلاحة إمكانات جديدة لتحسين الإنتاج كمّاً ونوعاً.

لقد شرعوا في تجربة زرع الأجنة الممتازة المأخوذة من بويضات من أبقار مختارة لسرعة نموها أو لوفرة ما تدره من ألبان أو لمذاق لحمها، بعد تخصيصها خارج الرحم من فحول ممتازة؛ فتحمل البقرة اللقيحة لتبلغ بها إلى ولادتها في أمدّها.²

ويشير الدكتور يوسف القرضاوي إلى أن الاستنساخ في عالم الحيوان جائز بشروط هي:

- أن يكون في ذلك مصلحة حقيقية للبشر لا مجرد مصلحة متوهمة لبعض الناس.
- ألا يكون هناك مفسدة أو مضرة أكبر من هذه المصلحة، فقد ثبت للناس الآن ولأهل العلم خاصة أن النباتات المعالجة بالوراثة إثمها أكبر من نفعها، وانطلقت صيحات التحذير منها في أرجاء العالم.

¹ موقع الفقه الإسلامي www.islamfeqh.com بتاريخ 2012/06/02. في مقالة بعنوان الاستنساخ البشري قضايا وأحكام.

² قرص مجمع الفقه الإسلامي، بحث الاستنساخ البشري، مختار الدين الإسلامي (مفتي الديار التونسية)

- ألا يكون في ذلك إيذاء أو إضرار بالحيوان ذاته ولو على المدى الطويلة فإن إيذاء هذه المخلوقات حرام في دين الله.¹

3.4. الاستنساخ البشري.

ما زالت فكرة الاستنساخ البشري مجرد فرضية؛ وهو على طريقتين:

1.3.4. الاستنساخ الجنيني (الاستئمان):

ويطلق عليه: تقنية شطر الأجنة.

وعرفه عبد الرشيد قاسم بأنه: العمل على فصل خلايا بويضة ملقحة بخلية منوية بعد انقسامها إلى خليتين أو أكثر، لتصبح كل خلية منها صالحة للانقسام بعد تهيئة ظروف نموها وانقسامها، وهكذا يتوالى الانقسام والفصل في كل خلية، ثم تزرع بعض هذه الخلايا في رحم الأم، ويتم تبريد الباقي ليحتفظ به إلى وقت اللزوم.² وقد اختلف العلماء المعاصرون في حكم هذه الصورة على النحو التالي:

1.1.3.4. القول الأول: التحريم، وعليه جمهور العلماء المعاصرين، وعليه قرار مجمع الفقه الإسلامي بجدّة.

وقد جاء في قرار المجمع الفقهي (تحريم الاستنساخ البشري بطريقتيه المذكورتين أو بأي طريقة أخرى تؤدي إلى التكاثر البشري)، والطريقتان هما الاستنساخ الجنيني والاستنساخ الخلوي (الجسدي).

2.1.3.4. القول الثاني: جواز الاستنساخ الجنيني، وعليه قرار اللجنة الطبية الفقهية بالأردن.

وقد جاء في ملخص الحكم الشرعي للاستنساخ الجنيني البشري: (فصل الخلايا من البويضة الملقحة بعد الانقسام الأول أو الثاني أو الثالث أو بعد ذلك، بقصد استعمالها لإحداث الحمل في فترة الزوجية جائز شرعاً، وتحكمه القواعد ذاتها التي تحكم موضوع التلقيح الاصطناعي الخارجي (طفل الأنابيب)، وقد وافق الفقهاء الحضور بالإجماع على ذلك ... وقد تحفظ على هذا الرأي كل من الشيخ الدكتور راجح الكردي والشيخ الدكتور عبد الناصر أبو البصل، الذي كان رأيه أن الاستنساخ الجنيني غير جائز إلا في حالة امرأة لديها مشكلة في ثبات الحمل، فيجيز الاستنساخ والتجميد لهذه الغاية فقط)، والفقهاء الموافقون: محمد الأشقر ومحمد شبير وعمر الأشقر وهمام سعيد وفضل عباس.

¹ موقع رابطة العالم الإسلامي www.muslimworldleague.org بتاريخ 2012/05/07.

² موقع الفقه الإسلام www.islamfeqh.com بتاريخ 2012/03/15 عبد الرشيد قاسم، حقيقة الاستنساخ والموقف الشرعي منه.

3.1.3.4. المناقشة:

أدلة المانعين:

1 - قاعدة "يتحمل الضرر الخاص أمام الضرر العام"

حيث أن المصلحة الجزئية لحالات محدودة ممن ابتلوا بالعقم والتي تحل مشكلة بعض الأسر لا تعارض هذه المفسدة بالمفاسد المترتبة بفتح أبواب الاستنساخ الجيني، حيث أن احتمال الاختلاط والعبث بالخلايا وارد، خاصة في هذا الزمان الذي ضعفت فيه الأمانة، وقاعدة سد الذرائع أخذ بها عامة العلماء.¹

2 - أن النطفة أصل الإنسان، والإنسان مكرم وهو جنين منذ تكوينه، فلا يصح العبث بالنطفة ولا مساسها دون حاجة داعية لذلك، واحتمال إجهاض النطفة أثناء العملية وارد.²

أما القائلون بالجواز فأروا أنها تأخذ حكم التلقيح الصناعي الخارجي؛ لأن هذه العملية قائمة بين رجل وزوجته في ظل العلاقة الزوجية، ولا علاقة لطرف ثالث في العملية، ولها فوائد، وهذه التقنية تفيد في الآتي:

1 - أنها علاج لبعض حالات العقم لدى المرأة والرجل، فالمرأة التي تعاني مشكلة الفقر في التبويض، والرجل الذي تكون خلاياه المنوية ميتة أو بها تشوهات إلا القليل منها؛ فإن هذه التقنية تساعد في الإنجاب.

2 - أنه يمكن الاستفادة منها في تشخيص الأمراض الوراثية في المختبر، فالنسخة التي تم استنساخها يمكن فحصها، فإن كان ثمة مرض وراثي أهملت جميع النسخ ولم تودع في الرحم، وبذلك نتحاشى ولادة أطفال مشوهين.

ويرجح الدكتور عبد الرشيد قاسم قائلا:

يظهر لي جواز الاستنساخ الجيني عند وجود الحاجة الماسة أو الضرورة إليه، كما هو الشأن في علاج بعض مشاكل العقم، لكون الطريقة من حيث المبدأ سليمة، أما في الأحوال العادية كالرغبة في الحصول على أجنة متشابهة فلا يجوز؛ لأن الأصل في التلقيح الصناعي الجواز عند الضرورة و"الضرورة تقدر بقدرها" فلا يتوسع في استباحة المحظور والله أعلم. وقد جاء في البيان الختامي لندوة (رؤية إسلامية لبعض المشكلات الطبية المعاصرة)

¹ عبد الرشيد قاسم: الاستنساخ والموقف الشرعي منه، موقع الفقه الإسلامي، بتاريخ: 2012/03/15، (بتصرف).

² سليمان الاشقر، مرجع سابق، 657/2.

الصادر عن المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية المنعقدة في الدار البيضاء في صفر 1418هـ / يونيو 1997م في شأن استنساخ الجنين البشري: (تري الندوة أن الطريقة من حيث مبدأ التلقيح سليمة، لكن تقويمها من ناحية النفع والضرر لا يزال في حوزة المستقبل، ومن منافعها القريبة المنال إمكان تطبيق الوسائل التشخيصية على أحد الجنينين أو خلايا منه، فإن بانث سلامته سمح بأن يودع في الرحم، وكذلك التغلب على بعض مشاكل العقم، وينطبق عليها كل الضوابط المتعلقة بطفل الأنابيب.

2.3.4. الاستنساخ الخلوي (الجسدي):

هذا النوع من التنسيل يتم بالاستغناء عن الحوين (الحيوان المنوي) واستبداله بنواة خلية جسدية،¹ كما مرّ. وقد أجمع كافة أهل العلم المعاصرين على حرمة هذا النوع، ومنهم: فضيلة الشيخ الشعراوي، وفضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق شيخ الأزهر السابق، وفضيلة الشيخ محمد سيد طنطاوي مفتي الديار المصرية الأسبق،.. وفضيلة الشيخ يوسف القرضاوي، وفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، وفضيلة الأستاذ الدكتور حسن الشاذلي الخبير بموسوعة الفقه الإسلامي بقطاع الإفتاء والبحوث الشرعية بدولة الكويت وغيرهم، وهو ما انتهى إليه وقرره مجمع الفقه الإسلامي المنعقد في جدة في دورته العاشرة، وأيد هؤلاء العلماء كثير من علماء أمريكا وأوروبا وكندا واليابان، منهم "ريفكن" عالم البيئة الأمريكي الشهير، وإديث كريسون مفوض البحث العلمي في البرلمان الأوروبي، للقبلة الذرية، والحائز على جائزة نوبل، وغيرهم، وأيضا هذا ما انتهى إليه الفاتيكان المسيحي.²

وهو من الناحية الشرعية يعارض الآيات التالية:

أولاً: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء: 1]

فهذه الآية تقرر أن بث الرجال والنساء (وهم الذرية)، ناتج عن الزوجين، لقوله سبحانه: (وبث منهما) والقول بأن الإنجاب يصح من المرأة نفسها يعارض هذه الآية.

ثانياً: قوله سبحانه: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٤٩) [الذاريات: 49].

ثالثاً: قوله سبحانه: ﴿فَاطَرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذَرُوكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١١) [الشورى: 11] قال ابن عباس عن معناها: "نسل بعد نسل".

¹ سليمان الاشقر، مرجع نفسه، 661/2.

² شعبان الكومي أحمد فايد، المرجع السابق، ص 67-68، (بتصرف)

رابعاً: قوله سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمَلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَنُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (١٨٩)﴾. [الأعراف: 189].

خامساً: قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ (٧٢)﴾ [النحل: 72].
 ووجه الدلالة من الآية واضح كآيات التي قبلها.

سادساً: قوله تعالى: ﴿أَوْ يَزُوجَهُمْ ذُرِّيَّتاً وَإِنَّا لَنَجْعَلُ مِنْ شِئَاءٍ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: 50].
 ففي هذه الآية كما قال الإمام بن كثير رحمه الله: جعل الله الناس أربعة أقسام منهم من يعطيه البنات، ومنهم من يمنعه هذا وهذا، فيجعله عقيماً لا نسل له ولا ولد له.¹

أما وجه التعارض بين الآية وبين عملية التنسيل اللاجنسي، فتتمثل في الجزء الأخير، وهو حالة العقم، فبناء على قولهم بإمكان الحصول على جنين من الخلية الجسدية، فهذا يعني أنه لن يكون هناك شخص عقيم.
 سابعاً: قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾. [القيامة: 39].
 قال ابن كثير في تفسيرها:

"أي: أما كان الإنسان نطفة ضعيفة من ماء مهين، بمني يراق من الأضلاب في الأرحام؟"²
 ثامناً: قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ [الطارق: 5-7].

قال ابن كثير في تفسير هذه الآيات: وقوله تعالى: "خلق من ماء دافق" يعني المني يخرج دفقا من الرجل ومن المرأة فيتولد منهما الولد بإذن الله عز وجل، ولهذا قال: "يخرج من بين الصلب والترائب" يعني صلب الرجل وترائب المرأة وهو صدرها. وقال شبيب بن بشر بن عكرمة عن ابن عباس: "يخرج من بين الصلب والترائب" صلب الرجل وترائب المرأة أصفر رقيق لا يكون الولد إلا منهما".³
 ففي هاتين الآيتين تقرير إلهي بأن الولد يكون نتيجة لقاء مشترك بين الرجل والمرأة، وفي التنسيل استبعاد للرجل في بعض حالاته، وهذا نقض للآية.

¹ إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي: تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1419هـ، 198/7.

² ابن كثير، المصدر نفسه، 291/8.

³ ابن كثير، المصدر نفسه، 368/8.

ويمكن الإجابة عن التساؤلات السابق ذكرها، وحل التعارض الظاهري بين الاستنساخ والآيات القرآنية بأن القرآن يعرض الطريق الفطري الطبيعي الذي تسير عليه الحياة، وليس فيها ما يدل على منع الاستنساخ أو عدم إمكان حصوله.

تاسعا: في قوله سبحانه: ﴿بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ [القيامة:4]

إذا اعتمدنا التفسير المعاصر القائل بأن البنان مقصود به بصمة الأصبع التي ثبت علميا أنها لا تتشابه مع غيرها، فإذا قلنا بجواز التنسيل الجسدي المؤدي إلى تشابه وتطابق البصمات فإن ذلك سيؤدي حتما إلى إلغاء تفسير البنان بالبصمة أو شمولها لها.

فهذا كله يؤدي بنا إلى التوقف في قبول فكرة التنسيل الجسدي واقعا، والوقوف حيث وقف العلماء المختصون بالهندسة الوراثية والأحياء، الذين يقولون بأنها فكرة، ونظرية ولم تجرب، ولم تصبح حقيقة واقعة بعد بالنسبة للإنسان.¹

وهناك من أضاف نوعا ثالثا للاستنساخ؛ وهو الاستنساخ العضوي.

4.4 الاستنساخ العضوي.

عرفه الدكتور أحمد رجائي الجندي بأنه: "استنساخ بعض الأعضاء التي يحتاجها الإنسان في حياته حال حدوث عطب في أحد هذه الأعضاء".²

وحكم هذا النوع من الاستنساخ، على الرغم من عدم إمكانية حصوله للآن، إلا في جانب واحد هو استنساخ أنسجة جلد جلد أصابه حروق أو غير ذلك، فاستنساخ، الأعضاء جائر بهدف العلاج وإذا لم يدخل في العملية أي طرف أجنبي وإلى ذلك ذهب كثير من العلماء المعاصرين مثل مفتي الديار المصرية نصر واصل، والدكتور وهبة الزحيلي، والدكتور عبد الصبور مرزوق، والشيخ أحمد سلامة.³

5. الخاتمة:

1.5 نتائج البحث:

من خلال هذا البحث توصلنا إلى النتائج التالية:

- المصطلح الصحيح لما يسمى بالاستنساخ هو التنسيل.
- الاستنساخ ينحصر في ثلاث مجالات هي: النبات والحيوان والإنسان.

¹ محمد سليمان الأشقر، المرجع السابق 178/2-180.

² شعبان الكومى أحمد فايد، المرجع السابق، ص36.

³ رياض أحمد عودة الله، المرجع السابق، ص204.

- حكم الاستنساخ في مجالي النبات والحيوان هو الجواز ولكن وفق ضوابط معينة حددها المجمع الفقهي:

- أن تكون هناك مصلحة معتبرة شرعاً.
 - ألا تعارض هذه المصلحة مفسدة أعظم منها.
 - ألا يترتب على ذلك تعذيب للحيوان أو تغيير خلقه.
- التنسيل اللاجنسي للبشر حرام شرعاً لمخالفته للفطرة ومقاصد الشريعة، ولما قد يسببه من ضرر على فرض نجاحه علمياً.
- التنسيل ينقل الصفات الوراثية فقط، ولا ينقل السلوك، ولا ما يكتسبه الإنسان بالخبرة ومن البيئة المحيطة.

2.5. التوصيات والاقتراحات:

- تحريم كل الحالات التي يُقحم فيها طرف ثالث على العلاقة الزوجية سواء أكان رحماً أم بويضة أم حيواناً منوياً، أم خلية جسدية للاستنساخ.
- الدعوة إلى تشكيل لجان متخصصة تضم خبراء وعلماء الشريعة وذلك لوضع الضوابط الشرعية في مجال علوم الأحياء لاعتمادها في الدول الإسلامية.
- الدعوة إلى إنشاء المعاهد والمؤسسات التي تقوم بإجراء البحوث في الهندسة الوراثية وعلم البيولوجيا في غير مجال الاستنساخ البشري وذلك وفق الضوابط الشرعية حتى لا يكون العالم الإسلامي تبعاً لغيره.

وبعد: فإنّ هذا البحث ما هو إلّا جهد المقل فإن كنا قد وفقنا إلى الحق فلله المنة والفضل، وإن تكن الأخرى فنستغفر الله من الخطأ والزلل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.